

من مظالم السياسة الدينية الفرنسية في الجزائر 1830 م — 1870 م

إعداد د/ : مزيان سعيدي

أستاذ محاضر بالمدرسة العليا للأساتذة — بوزريعة — الجزائر

الخطة المنتهجة

1- الطابع الديني للحملة الاستعمارية الفرنسية على الجزائر وأهداف الكنيسة الكاثوليكية منها

2 — معاول الهدم في السياسة الدينية الفرنسية في الجزائر

2-1 الاستيلاء على الأوقاف الإسلامية

2-2 الحرب على المؤسسات الدينية الإسلامية

(جامع كتشاوة (النموذج الحي)

2-3 الزوايا والكتاتيب القرآنية

3 — نبش المقابر واستخدام عظام المسلمين الجزائريين في المصانع الفرنسية

4 — البعد الصليبي في سياسة الإبادة الجماعية

5 — تحريف القضاء الاسلامي وإثبات السيادة الفرنسية عليه

6 — المجاهدة الجزائرية لمظالم السياسة الدينية الفرنسية في الجزائر

مقدمة

مثل التواجد الاستعماري الفرنسي في الجزائر حلقة من حلقات الحروب الصليبية التي شنّها العالم الأوربي المسيحي على العالم الإسلامي والتي ذكّتها تلك التوجهات والممارسات المحسدة ميدانيا من قبل الفرنسيين على حساب الجزائر دولة ومجتمعاً بحكم أن الجزائر شكلت قلعة للجهاد البحري في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط ودرعا واقيا

للخلافة الإسلامية العثمانية به جراء صدها لغزوات أوروبية مسيحية متكررة أبرزها حملة شارلكان الاسبانية سنة 1541م وحملة دوكنس الفرنسية سنة 1683م وحملة اللورد إكسموث الانجليزية سنة 1816م. ولقد اثبت الواقع التاريخي أن الروح الصليبية الحاقدة على مسلمي الجزائر قد تمثلت جنباتها تمثيلا حقيقيا منذ دخول الفرنسيين سطاولي ثم مدينة الجزائر والتي عان سكانها الويلات على غرار سكان باقي المدن الجزائرية الأخرى تماشيا مع تقدم الزحف الإستعماري الفرنسي عليها. ولعلنا لا نجاوب الصواب إذا أدلنا بالقول بأن المنطلق الديني في الممارسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر وحركيته تنلمسه من خلال استعراضنا بالبحث والدراسة الجوانب الاستعمارية المنتهجة من مضان السياسة الدينية في الجزائر خلال فترة الحكم العسكري الفرنسي بالجزائر والذي امتد بداية من سنة 1830م على عهد حكم شارل العاشر ثم حكم أسرة أورليان ممثلة في شخص لويس فيليب ونهاية بسقوط الإمبراطورية الفرنسية الثانية على عهد نابليون الثالث سنة 1870م بعد الانهزام التاريخي الفرنسي أمام بروسيا التي تزعمت حروب الوحدة الألمانية

هذه السياسة الدينية الهدامة التي عملت على تدمير البنية الحضارية الإسلامية الجزائرية والتمكين لعودة المسيحية لهذه الربوع أملا في إحياء أجماع قديسي الكنيسة المسيحية في الجزائر وبعث مقدساتها (القابعة) فيها منذ الاحتلال الروماني لها وإعادة هيكلة المؤسسات الدينية الإسلامية وإطفاء الطابع المسيحي عليها والاعتداء حتى على حرمت الموتى المسلمين الجزائريين ونش المقابر الإسلامية وتحريف القضاء الإسلامي وإخضاع مشمولاته إلى القضاء النابليوني، نفي كبار العلماء والمفتين، التحكم في السلك الديني الإسلامي، تدجين الطرق الدينية الصوفية، نفي العلماء الذين ناصبوه العداء، إلغاء منصب شيخ الإسلام، مباشرة العمل التنصيري وترسيمه بعد تأسيس أول أسقفية بالجزائر بداية من سنة 1838م حتى مجيء أبو التنصير في الجزائر الكاردينال لافيحري، التعسف في حق الجزائريين ممارسة شعيرة الحج، الإجحاف في حق ميزانية الدين الإسلامي ورجاله...، إلى غير ذلك من الممارسات التي أبرزت تأثير التفكير الصليبي على الممارسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر خاصة في هذا العهد الذي مثل فترة تجذر التواجد الاستيطاني الفرنسي في الجزائر.

الطابع الديني للحملة الاستعمارية الفرنسية على الجزائر وأهداف الكنيسة الكاثوليكية منها

إن تحليلات الدافع الديني في عملية الغزو الاستعماري الفرنسي للجزائر نتلمسها من خلال الدور الذي لعبه رجال الدين في هذه الجولة الصليبية بحيث إن قرار شارل العاشر في الغزو كان مدفوعا من الأسقف الكبير وزير الشؤون الدينية فريسينوس الذي كانت وراءه البابوية في روما (1)

ولقد أكد شارل تلك النزعة الدينية حينما جمع أساقفة المملكة الفرنسية في 2 مارس 1830م وخاطبهم بقوله: "إن مرادنا إن تقيموا الصلوات في جميع الكنائس داعين الله أن يحمي رايتنا ويمنحنا النصر. إن الهدف الذي نرمي إلى تحقيقه من الحملة الفرنسية يجب أن يرضى شرف فرنسا ويرجع بفضل العناية الإلهية بالفائدة على المسيحية"، ولم يتوان البتة في رفع الصليب عند خطبته. (2)

إن الوازع الديني الصليبي المتقدم قد أثر تأثيرا بالغا - بادئ ذي بدئ - على شارل العاشر من خلال تصريحاته وفي شخصيه كليرمون تونير clermont tonnere (وزير الحرية الفرنسي) الذي أعد مشروعا لاحتلال الجزائر برزت في تقريره النهائي بعض العواطف الدينية الواضحة فقد وصف الحملة: " بأنها حرب صليبية هيأها العناية الإلهية لينفذها الملك الفرنسي الذي اختاره الله ليتأثر من أعداء الدين والإنسانية ويغسل الإهانة التي لحقت بالشرف الفرنسي"، وأضاف تونير مخاطبا الملك شارل العاشر "لعل الوقت سيجعل من حضنا نحن الفرنسيين تمدين الجزائريين يجعلهم مسيحيين". (3)

وتبعاً لذلك فلا غرابة أن نجد الكنيسة تسير في مقدمة الزحف الاستعماري الفرنسي على كامل أقطار المغرب العربي الإسلامي وجعل احتلال الجزائر سنة 1830م حركة التنصير فيه تدخل عهداً جديداً. (4)

أقر شارل العاشر مشروع الحملة وأصدر مرسوما ملكيا بتعيين الكونت دوبرمون قائدا للجيش الفرنسي والذي اسطحب معه 16 قسيسا كان احدهم الأب زكار السوري وأخ قديس بيت المقدس. وما يسترعي الانتباه ان الجنرال دوبرمون ، عندما سقطت مدينة الجزائر ودخلها منتصرا ،صرح لهؤلاء القساوسة بقوله: " إنكم أعدتم معنا فتح الباب للمسيحية في إفريقيا ، ولنأمل أن تنيع قريبا الحضارة التي انطفأت في هذه الربوع". (5)

وهل هذا التصريح يتماشى مع روح المعاهدة التي أمضاها دوبرمون مع الداي حسين والقاضية باحترام الديانة الإسلامية وحرية ممارستها وكذلك عدم مس حرية مواطني الجزائر على اختلاف طبقاتهم لشريعتهم ممتلكاتهم وتجارتهم وصناعاتهم ... (6)

إن الانتصار العسكري الفرنسي في الجزائر يعني بالنسبة لدوبرمون وجنودهم نصرا مسيحيا مبينا حيث جسد ذلك ذلك فعليا من خلال وضع علامة الصليب على أعلى مبنى في مدينة الجزائر، (7) لشيء الذي جعل أساقفة فرنسا يحملون يحملون بإعادة الكنيسة الإفريقية بعد إن دكت المدافع الفرنسية أسوار مدينة الجزائر التي كانت قد منعت منذ أمد بعيد كل محاولة اعتداء أو غزو استعماري . (8)

من جانب آخر وجب التذكير بأن الخرق الفرنسي لمعاهدة 5 جويلية 1830م المتضمنة وعد الشرف باحترام المقدسات الإسلامية قد برز بوضوح ستة أيام فقط من احتلال الجزائر أي في يوم 11 جويلية 1830م حيث أمر دوبرمون أن يقام احتفالا دينيا ضخما في الساحة الرئيسية للقصبة حضره الجنرالات والضباط والجنود يتقدمهم دوبرمون نفسه ، (9) وعلى الضفة الأخرى من البحر المتوسط كان شارل العاشر هو الآخر يحضر بنفسه صلاة مسيحية في كنيسة notre dame بباريس ليشكر العناية الإلهية على هذا الانتصار الكبير.

ولقد وصف بعض الفرنسيين الاحتفال المقام بالقصبة، ومنهم كاتب الجنرال دوبرمون دولت دومنسيل D'ault Dumensil فشككت نزعتهم الدينية المتطرفة قاسما مشتركا بينهم حيث جاء في هذا الصدد:

"ان الاحتفال الضخم جرى في القصبة التي بناها أبناء محمد(صلى الله عليه وسلم) لمواجهة أبناء عيسى (عليه السلام)، ولقد رتل آيات الانجيل بأصوات عالية امام آيات القرآن التي أصبحت مئة الآن " (10)

أليست هذه مجريات حرب صليبية توحى بعداء شديد وحقد دفن على إسلامية الجزائر؟

أما عن أهداف المشروع الكنسي من عملية الاحتلال الفرنسي للجزائر فإنه يتركز أساسا على إعادة بعث الكنيسة الإفريقية الرومانية على أرض الجزائر

ومن جملة ما يستدل به هؤلاء قول أحدهم وهو جون ميليا في مؤلفه

charles x ,le plus grand roi de la France pour la conquete de l'alger p.96

بتزكية من آخرين " عندما تطلعت فرنسا لاحتلال الجزائر فاتها كانت تفكر في ربط الماضي بالحاضر لانه منذ قرون من الزمن كانت فرنسا مسحورة بشمال افريقيا تماما مثل تطورها التاريخي والطبيعي 'فرنسا يمكنها أن تعتبر الجزائر امتدادا لتاريخها بشمال افريقيا بل في الواقع مرحلة من تاريخ فرنسا نفسها " . (11)

يتلخص تصور الإكليروس الفرنسي لعملية بعث الكنيسة الافريقية الرومانية على أرض الجزائر ومحاولة كتابة تاريخها لابرز معالمها في محاور أساسية يمكن استجلاءها فيما يلي

أولا: إعتبار احتلال الجزائر فتحا مسيحيا وبداية إعادة إجماد الماضي وتحقيق الحلم القديم افريقيا المسيحية. فلقد قال آخر منهم وهو: egron l'algerie chretienne p.9 "لقد رأينا الصليب يظهر من جديد على هذه الارض الافريقية إذ كانت الكنيسة قد أهملت لمدة أربعة عشر قرن من طرف المنافقين - يقصد الجزائريين - أي بدخولهم الاسلام إنما كانوا ينافقون - فاتها انبعثت من جديد على أنقاض مقدسة اكتشفت بمعية فرحة منقطعة النظر " . (12)

ومن جانب آخر فان البابوية في روما كانت تنطلع الى آفاق جديدة عند اتمام عملية الغزو بحيث ان احتلال الجزائر ذكر بأجماد الكنيسة الافريقية على عهد اسلافهم المسيحيين وأن عملية البعث الكنسي المسيحي من جديد واسترجاع التقاليد المسيحية أمر تستوجه الحقوق التاريخية (13).

ولقد تعددت نداءات رجال الدين وكثرت تأليفهم حول حتمية ارجاع هذا الشعب الى حضيرة الدين المسيحي باعتباره دين أغلبية أجدادهم وحيث أن الاسلام انتزع منهم ذلك بأقصى وسائل العنف ، على أن الدين المسيحي قادر اليوم على ضمه إلينا وصيرورة معنا شعبا واحدا. (14)

ثانيا : العودة الى العهدين الروماني بالخصوص ثم البيزنطي لتعطي رسالتها التنصيرية الجديدة أسسا تاريخية تعود الى قرون مضت.

فتصور رجال الدين يكمن في أنه مع الطلائع الأولى للعهد المسيحي في افريقيا الشمالية عامة والجزائر خاصة، ظهرت هذه الاخيرة كمنبت للقديسين (الشهداء) وآباء الكنيسة.

يذكر ساكسر saxer وهو اختصاصي في علم الآثار المسيحية : "ان آثار القديسين الاولى توجد بقوة في افريقيا وهي شواهد حية لتاريخ المسيحية القلم بالمنطقة ومن هذا اقرار بتواجد مسيحي في افريقيا يعود الى القرن الثاني الميلادي . (15)

ومن هنا فان الحملة الفرنسية على الجزائر كانت حملة لاعادة تنشيط الدعوة المسيحية من خلال حركية التنصير في افريقيا واطفاء أكبر ديناميكية ممكنة عن طريق استكمال الدور المقدس لسان سريان saint cyprien و سانت أو غسطين sain augustain واستنطاق آثار سبيون sipion . (16)

ثالثا: تصور الفتح الاسلامي غلطة لا تغتفر جعلت الدور التنصيري الجديد تفصله عن الكنيسة الرومانية قرونا طويلة من الصعب طمسها بسهولة.

فلقد حاولت كتابات المستشرقين الغربيين - وأكثرهم منصرين منفريين - إثارة الطعن في عظمة الفتح الاسلامي وتزييف مفهوم انتشار الاسلام بتفسيرات مادية مضللة وقد ساهم في هذا المنحى بعض المؤرخين الفرنسيين منهم إميل قوتيي gautier emille الذي اطلق مصطلح القرون الغامضة على عهد الامارات الاسلامية في الجزائر والمغرب عامة من الفتح الاسلامي الى مجيئ العثمانيين اضافة الى ستيفان غسال stephane gselle الذي أطلق على الهجرة الهلالية نحو بلاد المغرب مصطلح " هجرة الذئاب " والحقيقة ان الفتوح الاسلامية لم تكن حركة توسيعية ولا حربا صليبية ضد المسيحية وانما كانت رسالة تمديدية حضارية لا تهدف الى أي لون من ألوان الاستغلال . (17)

فنصوور الكنيسة للفتح الاسلامي لا يخرج من اطار اعتباره سيلا جارفا من المغرب كان وراء اختفاء طلائع العهد المسيحي في الجزائر بسرعة مدهشة وان المسيحيين فروا من شمال افريقيا الى أوروبا والآخرين اعتنقوا الاسلام سواء لمصلحة أو اقتناع وان لم يكن هذا ولا ذاك فان سكان هذا الوطن تعرضوا لويلات السيطرة العربية . (18)

انه من الواجب القول في هذا المقام أن التاريخ أثبت أن الاسلام قد منح للجزائريين العقيدة التي قومت سلوكهم واتجاهاتهم واللغة التي وحدت تفكيرهم وشعورهم والإيمان الذي وحد حركيتهم وانفعالهم. لقد أعطى الاسلام للجزائريين حضارة كاملة تقوم على العربية كوسيلة تفكير وتعبير وعلى الدين كطريقة حياة وسلوك ولم يتقبل الجزائريون هذه الحضارة فقط بل ساهموا مساهمة فعالة في تقويتها وتمكينها ولذلك كل من يؤرخ للجزائريين دون أن يشير الى دورهم العملاق في التشييد والدفاع عن الحضار الاسلامية فانه يغمطهم حقهم لكن المؤرخين

الاستعماريين حاولوا ان ينالوا من رسالة الاسلام في الجزائر فلقد اثموا معتنقيه بالتعصب وحاولوا خلق العنصرية والطائفية لذبذبة الافكار وضعضة الوحدة⁽¹⁹⁾.

رابعاً: محاولة كتابة تاريخ الكنيسة الافريقية لاعطائها مرجعية تاريخية تعود الى قرون مضت ومن ثم محاولة تكريسها على أرضية كانت قابعة وفاعلة فيها.

فلقد حرص عدد من الكتاب الفرنسيون على نبش الماضي لاقتناع المسؤولين أن هذه الارض الافريقية مسيحية في الاصل وعليه فعندما يدعى الجزائريون الى اعتناق الدين المسيحي فذلك شئ طبيعي خاصة وأن الكنيسة الافريقية كانت أهم الكنائس بعددها وشهادتها وعباقرتها وأساتذتها فإذا اعتنق الجزائريون مثل ذلك الدين فانهم بامكانهم الرجوع الى حضيرة المسيحية.

ومن ابرز الرهبان الذي كرسوا جهدهم في كتابة تاريخ الكنيسة الافريقية الراهب مسناح mesnage من خلال كتابه الضخم " المسيحية في افريقيا " في جزئين (أصلها تطورها وانتشارها) وقد وردت عليه رسائل الشكر والتمجيد من رجال الكنيسة بمناسبة صدور هذا الكتاب حيث كتب اليه الاسقف جوتيي gautier قائلاً له :

" أهنتكم على دراستكم الجديدة الهادفة الى القاء الضوء على أجماد الحضارة المسيحية في افريقيا الرومانية " وكتب اليه بيار فرنان fernan أسقف وهران يقول : " . . . ولابد من الاشارة الى توسيع دعاية التنصير في هذا البلد الذي أصبح بلدنا. ⁽²⁰⁾

كما قام الفرنسيون بعمليات الحفر والتنقيب منذ الوهلة الاولى عن آثار المسيحيين مستفيدين من الخرافة تارة ومن كتب الرحالة تارة أخرى، فقد كانت الروايات تزعم أن الجامع الكبير مثلاً كان مبيناً على هيكل ديني مسيحي قدم فعمل الفرنسيون على تعرية أساس الجامع لعلهم يكتشفون آثار الهيكل كما عمدوا الى تغطية الجامع عن الأنظار بعد أن كان يرى من بعيد من المرسى، فغطته الحيطان العالية التي أخفت منارته.

كما عكف علماء الآثار على دراسة آثار واطلال مدينة عنابة hippon بعناية بالغة لاعادة بناء كنيسة اوغسطين والذي دوى صوته فيها. ⁽²¹⁾

ان كل هذه المحاولات تكشف بصورة لا مرية فيها أن المؤرخين الفرنسيين وكذا علماء الآثار انما يريدون باصرار أن يثبتوا أن الارض الجزائرية ارض مسيحية وبالتالي من الواجب ارجاعها الى ذلك الحيز المسيحي الحضاري وسلبها من معترك الحضارة الاسلامية.

2 — معاول الهدم في السياسة الدينية الفرنسية في الجزائر

2- 1 الاستيلاء على الاوقاف الاسلامية

يعتبر الوقف او الحبس حسب التعبير المحلي من المظاهر البارزة في حياة الشعوب العربية الاسلامية، فهو تعبير صادق عن ارادة الخير وتكريس لروح التضامن والتكافل بين الأفراد في اطار الجماعة التي يعيشون ضمنها، مما جعل من مؤسسة الوقف تنظيمًا خيريًا يستمد وجوده من احكام شرعية ويقوم بأداء دوره في اطار صيغ تضامنية واجراءات ملزمة سواء فيما يخص النظم التي يخضع لها أو المعاملات المتعلقة بتسييره والانتفاع به، وهذا ما كفل لمؤسسة الوقف التطور والنمو وساعدها على القيام بالمهام الموكلة اليها سواء فيما يتعلق بالقضايا التعليمية ومسائل العبادة أو النشاطات المتعلقة بالخدمات الاجتماعية والأغراض الاقتصادية.

وأموال الوقف كانت موجودة عند الاحتلال على فرعين : أوقاف عامة وأوقاف خاصة أما الاوقاف العامة فهي: أوقاف بيت المال، أوقاف الطرقات ، أوقاف العيون (المياه) ، أوقاف الاندلس ، أوقاف الاشراف ، أوقاف مكة والمدينة ، و أوقاف سبل الخيرات (خاصة بالمذهب الحنفي).

أما الاوقاف الخاصة فهي: أوقاف الشيخ الثعالبي ، أوقاف الجامع الكبير ، أوقاف مختلف المساجد والزوايا والقباب والجبانات كل منها على حدة ، واوقاف القنيعي المؤسسة سنة 1868م

ومنذ الايام الاولى للاحتلال تعرضت المؤسسات الدينية في الجزائر لمحرقة شديدة طيلة الفترة الاستعمارية بمختلف الوسائل والاساليب والاشكال لانها كانت تمثل عائقا صلبا أمام السيطرة الاستعمارية و سياسة الفرنسية والتنصير والتجهيل⁽²²⁾.

وأول من استهل العملية هو الجنرال كلوزيل CLAUZEL الذي كانت اهتماماته تنصب على احصاء الملكيات ولهذا أصدر في 8 سبتمبر 1830م قرارا يستهدف حجز املاك العثمانيين ثم اوقاف مكة والمدينة وأمام الاحتجاج من قبل الاهالي تراجع عن قراره المتعلق بالاستلاء على اوقاف مكة والمدينة ولكنه وامام خشية استغلال هذه الاوقاف للتحضير لثورة ضد الفرنسيين أصدر كلوزيل قرارا آخر يوم 7 ديسمبر 1830 استهدف ضم كل الاملاك الدينية (وهي تشمل اوقاف مكة والمدينة والمساجد والزوايا) الى املاك الدولة، الامر الذي كان بمثابة ضربة موجة للدين والثقافة الاسلامية ، لانعكاس اثره على الحياة الدينية والاجتماعية للسكان⁽²³⁾.

كما أن السلطة الفرنسية لم تجد صعوبة في حجز أوقاف العيون وتسليمها الى مهندسين فرنسيين، ونفس الشيء بالنسبة لأوقاف الطرق سلمت الى مصلحة للجسور والطرق بحجة

ضعف الأمناء الذين لم تكن لهم القدرة الكافية للقيام بهذا العمل.

أما املاك الجيش فقد احتجزت ايضا لانها املاك عثمانية ولان بقائها بايدي الجزائريين سيحرضهم على الثورة في نظر الفرنسيين، واجبر وكيل اوقاف مكة والمدينة على دفع الدخل للخرينة المالية، وتوقف ارسال جزء منه الى شريف مكة حتى لا تستغل في إشغال وتمويل الثورات (24).

وهناك أملاك أخرى لبناء واستصلاح المساجد والزوايا كأوقاف سبل الخيرات ، وهي عبارة عن جمعية كانت تشرف على 8 مساجد في العاصمة، وقد بلغ دخلها سنة 1837 حوالي 13639 فرنكا، وكانت هناك املاك خاصة بالجامع الكبير بالعاصمة ايضا وقد بلغ دخلها 12000 فرنكا، والى جانب أوقاف التعليم والحج كانت هناك اخرى للصدقة واعمال البر في سنة 1837م بلغ دخل أوقاف مكة والمدينة في العاصمة 133503 فرنك، وكانت هذه الاوقاف مخصصة لايواء فقراء مكة والمدينة بمجانا وكان الفائض يذهب للفقراء، كل ذلك استولت عليه السلطات الفرنسية. (25)

إن هذا الاستلاء على الاملاك التعليمية والدينية قد حرك حتى أولئك الفرنسيين الذين كانوا يقفون من الجزائريين موقفا معاديا مثل ألكسس دي توكفيل ALEXIS DE TOCVILLE الذي صرح قائلاً: "لقد وضعنا أيدينا في كل مكان على هذه الاوقاف، ثم وجهناها غير الوجهة التي كانت تستعمل فيها في الماضي ، لقد عطلنا المؤسسات الخيرية، وهكذا تركنا المدارس تموت والندوات العلمية تندثر. (26)

ويذكر فورنال FOURNEL في هذا الصدد: "لقد كان من الواجب لازالة الخطر على تواجدنا بالجزائر ان نخطم الزوايا والمؤسسات الوقفية الدينية وان نخرم ظهورها من جديد. (27)

لقد شملت هذه الاجراءات حتى بيوت الخلاء الموقوفة للسكان وهذا ما جاء في الشكاية الثامنة لحمدان خوجة والتي ختمها بقوله: " وسأحكي في سوء الادب بذكرها لانهم لم يستحيوا بأخذها وكرائها للتجار فكيف نستحي بطلبها" فانكرت وزارة الحربية علمها بذلك وقالت : يمكن أن يكون قد اتخذت هذا الاجراء لنفع جبائي او لفائدة صحية عمومية. (28)

ولأخذ صورة عن دخل الاوقاف العامة بالفرنك الفرنسي اليك الجدول التالي: (29)

المؤسسة	1838	1839
أوقاف مكة والمدينة	127895.65	131941.13
أوقاف سبل الخيرات	13989.25	14368.41
أوقاف الاندلس	4093.54	4963.98
أوقاف طيب المال	6025.49	26.197.38
أوقاف الثعالبي	5572.90	5396.80
المجموع	157576.83	182867.70

وذهبت الروح الصليبية بالفرنسيين الى ابعد من ذلك اذ اختطفوا جزءا من اموال الاوقاف الاسلامية المصادرة للمستعمرين الذين عملوا بواسطتها على محاولة تنصير أبناء وشباب الجزائر، أي أنهم صاروا يدعون إلى المسيحية في الجزائريين بأموال الاوقاف الاسلامية (30)

غير ان هناك قرارا آخر توضيحيا صدر سنة 1843، ففي 23 مارس من هذه السنة أصدر وزير الحرية قرارا من ثماني مواد، جاء في الاولى منه أن كل الوصولات والمصاريف الناتجة عن المؤسسات (الدينية) والاقواف مهما كان نوعها ، قد أصبحت ملحقه بالميزانية الاستعمارية (الكولونيالية) ونصت المادة الثانية على استمرار مصلحة أملاك الدولة في تسيير المؤسسات الدينية، حسب القرارات السابقة. وجاء في المادة الثالثة أن البنائات المنجرة عن المؤسسات الوقفية والتي توقفت عن تبعيتها الدينية ستجمع فورا الى تلك التي دخلت في المادة السابقة، ويكون تسييرها طبقا لنفس الاحكام. واما البنائات التابعة لمؤسسات ما تزال مخصصة للديانة (الاسلامية) فقد نصت المادة الرابعة على ضمها بالتدرج الى مصلحة الدومين طبقا لقرارات خاصة . كما ضمت أوقاف بيت المال الى هذه المصلحة أيضا (31)

وفي سنة 1843 جرى أيضا حادث آخر أدى الى وضع مصلحة أملاك الدولة يدها على أوقاف الجامع الكبير بالعاصمة أيضا، وقد كان هذا الجامع الى ذلك الحين مستقلا بوكيله وأوقافه باعتباره مؤسسة خاصة في نظر القانون الفرنسي وهذا الحادث هو عصيان المفتي المالكي مصطفى الكبابي اوامر الحاكم العام المارشال بوجو BUGEAUD فما كان من المارشال إلا

ان عزل المفتي ونفاه من البلاد لكن الجديد هو اصدار قرار 4 جوان 1843 الذي يقضي بضم أوقاف الجامع الى مصلحة املاك الدولة. وهو قرار مصادرة تعسفية لا غبار عليه وكانت هذه الاوقاف عظيمة الشأن منذ تأسيس الزاوية والمدرسة التابعة للجامع في عهد المفتي سعيد قدورة في القرن 11 هـ. ونص قرار بوجو الاستثنائي على ان كل بنايات التي يرجع دخلها الى الجامع الكبير وموظفيه، ومهما كان عنوانها، ومهما كان اسمها، تبقى داخلية تحت يد مصلحة أملاك الدولة الاستعمارية (DOMAINE COLONIAL) وكل المداخل والمصاريف الخاصة بهذه المؤسسة الدينية (الجامع الكبير) مهما كانت طبيعتها، تكون ملحقة بالميزانية الاستعمارية وكل المصاريف المتعلقة بالموظفين الدينيين وصيانة المساجد وأجور الديانة (الاسلامية) وكذلك الاغاثات والصدقات التي كانت تقدمها هذه المؤسسة (الجامع الكبير) تتولاها منذ الآن الادارة. وهي داخلية في الميزانية الداخلية.

وهكذا كانت أوقاف الجامع الكبير هي الوحيدة من اوقاف المساجد والزوايا، التي ضمت الى مصلحة ما سمي بالدومين الكولونيالي قبل سنة 1848.⁽³²⁾

ففي عهد الجمهورية الثانية المتحمسة للاستعمار والتغلغل في المجتمع الجزائري والسيطرة على مقدراته، صدر قرار خطير آخر يتعلق بضم جميع الاوقاف الخاصة، مهما كانت وأينما كانت في الجزائر، سواء كانت ماتزال قائمة أو محولة أو مندثرة. وبذلك انتزعت المساجد صغيرها وكبيرها، والزوايا سواء كانت وراثية والقباب سواء كانت لولي او لباشا، والجبانات سواء كانت عامة أو خاصة... من يد وكلائها الترهاء ودخلت تحت ادارة أملاك الدولة، فاصبحت هي التي تجمع المداخل وتدفع الأجور وتطعم الفقراء وتصون المسجد، على الأقل من حيث المبدأ وصدر هذا القرار من الحاكم العام شارون CHARONNE في 3 اكتوبر 1848م. جاءت فيه ثلاث مواد منها ما ذكر في المادة الاولى أن البنائات التابعة للمساجد والمرابطين (القباب و الاضرحة) والزوايا وكل المباني الدينية الاسلامية التي ماتزال بصفة استثنائية تحت ادارة الوكلاء قد أصبحت منذ الآن تحت أملاك الدولة وجاء في المادة الثانية أن على الوكلاء وضع ما بأيديهم من وثائق ومداخل وأوجه صرف ومصاريف وقوائم وأملاك الى آخره في يد مصلحة أملاك الدولة خلال عشرة أيام من إخطارهم رسميا⁽³³⁾

وكانت الاوقاف المصادرة منذ 1830م أرضا وعقارا تنصرف فيه الدولة بالابقاء عليها تحت يدها أو اعطائها الى المهاجرين الاروبيين دون تعويض أصحابها الحقيقيين وقد بلغت قيمة

أُملاك الاوقاف التي استولت عليها الدولة ولم توزعها على الاروبيين الى سنة 1891 مايلى حسب كل اقليم :

إقليم الغرب (وهران) 1574225 فرنك

إقليم الوسط (الجزائر) 509702 فرنك

إقليم الشرق (قسنطينة) 554078 فرنك . (34)

2-2 الحرب على المؤسسات الدينية الاسلامية

كثيرة هي المؤسسات الدينية والتعليمية التي مسحها الفرنسيون أو هدموها أو أعطوها للجيش أو بيعت كأُملاك للأوروبيين يتصرفون فيها . فمنها التي بقيت بخول من الله تعالى وتعدادها خمسة مساجد بعد أن كان عددها وقت حدوث الاحتلال 176 مسجد⁽³⁵⁾ وهي الجامع الكبير الجامع الجديد جامع سيدي رمضان جامع سفير(صفر) وجامع سيدي باشا (36)

أما المساجد التي تحولت الى كنائس في البدايات الأولى فهي :

جامع القصبة _____ أصبح كنيسة الصليب المقدس وقد تغير شكله

جامع علي بتشين _____ تحول الى كنيسة سيدة النصر

جامع القائد علي _____ أعطي الى جمعية أخوات القديس جوزيف

جامع كتشاوة _____ أصبح كاتدرائية الجزائر

إضافة الى ذلك هناك مساجد هدمت من أول وهلة أو أعطيت لمصالح عسكرية ثم هدمت منها جامع السيدة الذي كان من أجمل مساجد العاصمة والذي جوده حسن باشا سنة 1794 برخام أبيض عالي الجودة جلبه من ايطاليا فهدم سنة 1830 بدافع الحقد والتعصب لأن التهديم وقع قبل التفكير في انشاء ساحة الحكومة (37)

ولقد أخذت السلطات الفرنسية أبوابه الخارجية وأعمدته المرمية الجميلة والواحة الزجاجية الصينية وابوابه الداخلية الدقيقة وقد هدمت في نفس الوقت أربعة مسجد صغيرة كانت تحيط بذلك الجامع (38)

وتطول القائمة لو ذكرنا المساجد التي سلمت الى مصالح عسكرية ومدنية ثم هدمت فهناك جامع سيدي الرجي الذي كان من الجوامع الكبيرة التي ذكرها هايدو HAIDO أعطي سنة 1833 الى الصيدلية المركزية ثم هدم

مسجد علي باشا _____ حول الى اكليركية سنة 1870 من طرف لافيجري

مسجد خيدر باشا _____ هدم بعد ان كان ملحقا بمستشفى وذلك سنة 1834

مسجد الجنائز _____ مخزن عام للمستشفيات العسكرية سنة 1838

مسجد سيدي الرجي _____ صيدلية عسكري سنة 1832

مسجد صباط الحوت _____ مخزن للحبوب سنة 1830

مسجد العين الحمراء _____ ثكنة عسكرية منذ 1837

مسجد عبدي باشا _____ ثكنة عسكرية منذ 1830

ومن المساجد التي هدمت نذكر على سبيل المثال لا الحصر :

مسجد سوق اللوح سنة 1836 جامع الشاوش سنة 1830 مسجد الشماين سنة 1840 ... الى غير ذلك من الجوامع التي بقيت عملية تدميرها على نية المستعمرين في إزالة كل مقومات تواجد وتجنذر الحضارة الاسلامية بهذا البلد (39)

أما في وهران فقد تم تحويل جامع خنق النطاح الى مستشفى عسكري سنة 1831م وفي عنابة حول مسجد ابو مروان الى أغراض عسكرية وقد كانت تلمسان مخربة تماما عند احتلالها وكان في قسنطينة 70 بيت للصلاة ولكن الفرنسيين تصرفوا في ذلك تصرف المالك المستهتر في ملكه . (40)

جامع كتشاوة (النموذج الحي) :

اسم كتشاوة (ايضا كجاوة) ليس هو اسم باني الجامع ولا مجده وإنما هو اسم المكان الذي بني عليه وكانت اوقافه تحت يد سبل الخيرات باعتباره من الجوامع الحنفية ومنها مجموعة من العقارات (41)

تم تحويل هذا المعلم الاسلامي على عهد الحاكم دوروفيقو DE ROVIGO الذي طالب باجمل مسجد في مدينة الجزائر لارساء دعائم المسيحية في الجزائر فكان له ذلك .

كان المسجد مربع الشكل أو يكاد طوله 23.6م وعرضه 18.70م ذا مدخلين أحدهما أمامي مفتوح على ساحة ... يرتفع في الداخل 16 عمودا من الرخام الأبيض الصافي المتقن الصنع كان بين الردهة اصناف من الخزائن الجميلة المصنوعة من الخشب النفيس كالأوز والسباح وكانت النقوش تزين ابواب تلك الخزائن وكانت الجدران مغطاة بارفع أنواع الزليج يؤلف ذلك كله منظرا داخليا للمسجد يعد من أجمل ما تــــراه العين.⁽⁴²⁾

كيفية تسميته :

كان تاريخ 24 ديسمبر 1832 هو اليوم الذي اختاره القسيس كولان COLLIN لتمسيح المسجد وجعله كاتدرائية.

أمر دوروفيقو باقتحام المسجد على حين كان فيه 4 آلاف مسلم وأعملوا فيهم القتل بالحرا ب داخل المسجد ⁽⁴³⁾

عندها هرع عدد كبير من لأشخاص فدخلوه زرفات ووحدانا فاحتظت بهم الردهة فحولوا المنبر الى قداس ووضعوا فيه تمثال السيدة مريم ثم التفوا الى ما في داخل المنبر فوجدوا كتابة فقرأوها فاذا هي آيات بينات من ذكر الله العزيز الحكيم

وهي قوله تعالى : " قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا، قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله آية للناس ورحمة وكان أمرا مقضيا"⁽⁴⁴⁾ فعدوا وجود هذه الآية ارهاصا بل معجزة ولو تدبوا معناها لبهت الذي كفر .

استهل كولين خطابه بقوله : " ان الجيوش الفرنسية عندما نزلت في سيدي فرج يوم 14 جوان 1830 أطلع الله بها من جديد شمس الانجيل على هذا البلد الافريقي الذي طالما سطعت عليه في غابر العصور أنوار المسيحية وهاجة ثم غشيته فيما بعد ليل الهمجية الدامس لمدة اثني عشرة قرنا " .⁽⁴⁵⁾

هكذا يكذبون على التاريخ فيزعمون أن الاسلام همجية وظلاما والباطل نورا وسلاما الى أن يعظهم من الحدثن واعظ ويزجهم من الواقع زاجر ورحمة الله على الابراهيمى الذي دشن هو أيضا رجوع جامع كتشاوة الى أصله بمناسبة صلاة الجمعة التي اقيمت به بعد

الاستقلال تحت شعار نجمة وهلال فقال كلمة رائعة : " ولما تكلمت البنادق ظهرت الحقائق ، ولم يكن ذلك من سجع الكهان ولكنه من فزع الكهنوت " (46)

إن هذا الانتصار الذي أحرزه دوروفيقو في هذه العملية قد فتح آفاقا جديدة أمامه وأمام الآخرين في نشر الدعاية التنصيرية في الجزائر وذلكم ما نكتشفه في المراسلة التي كانت بينه وبين القنصل الأنجليزي بالجزائر أوالد AWALD الذي اقترح عليه استعمال النفوذ الديني لنشر الحضارة المسيحية . كما بعث دوروفيقو الى وزير الحرية سولت SOUL في 9 جانفي 1833 قائلا : " إنني كنت أخشى التصرفات المتعبة من الاهالي ولكن تعجبت حينما سمعت قولهم ، لقد اسكنوا ربهم في كنيسة إنه من الواثق أنهم سيقون " (47)

2. 3. الزوايا والكتاتيب القرآنية

الزوايا مجمعات من البيوت والمنازل مختلفة الأحجام تستعمل كبيوت للصلاة ، كمساجد وغرف لتحفيظ القرآن الكريم وتعليم العلوم الاسلامية وأخرى منها تتخذ كسكنى للطلبة وطهي للطعام وتخزين المواد الغذائية والعلف وإيواء الحيوانات التي تستغل في أعمال الزاوية (48) وأساس الزاوية هو الرباط الذي قام على مبدأ الجهاد ونصرة الدين ورد الأعداء (49).

أما الكتاتيب فهي بيوت منفردة وأحيانا مجمعا من البيوت مختلفة الأشكال والأحجام شأها في ذلك شان الزوايا وأغلب هذه الكتاتيب من تأسيس حفظة القرآن الكريم للارتقاء والحصول على لقمة العيش بممارسة وظيفة تحفيظ القرآن الكريم للأطفال بها والتي كانت تتم بالطريقة التقليدية المعروفة والتي تقوم على رفع الأصوات بالقرآن عند الحفظ والتناسف على الحفظ بين الأطفال ثم الختم والاحتفال به في المنازل . (50)

لقد واجهت الزوايا والكتاتيب نفس المصير الاستدماري من قبل الفرنسيين حيث حورب الائمة وشيوخ الزوايا ووضع حد لنشاطهم الديني والثقافي وفرضت عليهم وعلى أتباعهم مراقبة شديدة ودائمة ونفي الكثير منهم وشردوا الى مناطق نائية داخل البلاد وخارجه (ابن العنابي) وارغم البعض على الاشتغال بالجووسة لصالح الشرطة الفرنسية وتم اغلاق الكثير من الزوايا وتهدم البعض منها خاصة التي شاركت في مقاومة الاحتلال الفرنسي كما أغلقت الكثير من الكتاتيب والمعمرات بدعوى عدم وجود رخصة لها من ادارة الشرطة

واستهدف رجالها للملاحقات القضائية والمتابعات القمعية من طرف الشرطة والضباط العسكريين ومصالح التجسس وشردوا وابتعدوا . (51)

من أبرز الزوايا المتأثرة بالهدم والبيع والحيازة نذكر: زاوية القشاش التي كان مصيرها مصير الجامع والمدرسة التي تحمل نفس الاسم وزاوية سيدس الجودي التي بيعت لأحد الأوروبيين وزاوية شختون التي حوت الى مستشفى عسكري وزاوية الصباغين والمقايسة التي هدمت مع الجامع وزاوية كتشاوة التي هدمت وقد جرى للقباب والاضرحة التي كان معظمها جهة باب الواد وباب عزون مثل ما حدث للمؤسسات الاخرى (مساجد ، زوايا ، مدارس) . (52)

إن التصرفات التي قام بها الجيش الفرنسي ببركة البابوية في روما ناقضت الاتفاق واثارت ردود الفعل من بعض المسؤولين الفرنسيين أنفسهم والذين ذاقوا ذرعا مما شاهدوه من تلك التصرفات ومن هؤلاء الوكيل المدني بيثون PICHON وخليفته جانتي دي بيسي GENTY DE BUSSY ولقد كتب بيثون في كتابه يقول : " لقد وعدنا سكان الايالة (الجزائر) باحترام معاهدة الاستسلام وضمن ممتلكاتهم واحترام عباداتهم فمن واجبنا أن نفي بوعودنا " .

اما جونتي دي بيسي ، وان إختلف أسلوبه عن سابقه فهو يتفق معه في الرأي ويرى ان الدين (المحمدي) لسكان الجزائر هو في الوقت نفسه عاداتهم وقوانينهم وشريعتهم ويرى انه ليس هناك دين بدون عبادة ويتضح مقصده حينما قال: " وعدنا السكان باحترام الديانة وانترعنا منهم ما يتركها ذات سيادة ... ثم نأتي لنقول لهم سنحترم ديانتكم " (53)

تبعاً لهذه الاعتبارات التي اظهرت دون ريب مدى الحقد الصليبي الفرنسي على مقومات الاسلام في الجزائر فمن حقنا ان نتساءل : " هل عملية إعادة هيكلة المؤسسات الدينية الجزائرية وتدمير جزء منها يتماشى مع المشروع الحضاري الفرنسي في الجزائر وهل تصرفات الفرنسيين تتماشى مع مبادئ الثورة الفرنسية والتي كانت اساساً الحرية العدالة والمساواة إضافة الى استصدارها وثيقة حقوق الانسان والمواطن ؟ أم انها حقوق الانسان الابيض أو بالاحرى الانسان الغربي المسيحي فقط دون غيره ؟

وبالمقابل وجب التذكير بان السياسة الدينية الفرنسية ركزت على إطفاء الطابع المسيحي على

المؤسسات الدينية في الجزائر فمقابل التهديم شرع في بناء الكنائس والمعابد والخورنيات وذلك تزامنا مع تزايد عدد المستوطنين الاروبيين بالمدن الساحلية الرئيسية ونمو المستعمرة (الناشئة) ومع صدور الامر المؤرخ في 25 اوت 1838م باقامة اسقفية الجزائر . كان عامل الدين مهما للغاية لتوحيده بين مختلف العناصر الاروبية المتباينة وكان على أول أسقف دوبوش DUPUCH بين (1838 — 1846) ان يعمل الكثير من اجل خدمة (دينه) فكانت الخورنيات الأولى بحسب تاريخ تاسيسها كما يلي:

مقاطعة الجزائر

خورنيات الجزائر ، دالي ابراهيم ، بوفاريك ، شرشال ، القبة ، البليدة ، القليعة ، الالبوار ، الدويرة ، المدينة ، بئر خادم ، الداراية، مليانة ، الاصنام ...

مقاطعة وهران

خورنيات وهران ، مستعالم ، مرسى الكبير ، معسكر ، تلمسان

مقاطعة قسنطينة

خورنيات قسنطينة ، عنابة ، سكيكدة ، بجاية، القالة ، جيحل ، قالمة ، سطيف (54)

وأمام الاجتياحات المتزايدة من كل جهة جاءت الجمعيات الدينية المسيحية لتساند رجال الاكليروس في مهمتهم كان أبرزها الآباء اليسوعيين والعازاريين واخوان القديس جوزيف دومانس والراهبات الثالوثيات وسيدات القلب المقدس . (55)

أما عهد الأسقف الثاني بافي PAVY (1846 — 1866) الذي خلف دوبوش فإنه عرف تنامي بناء الهياكل الدينية المسيحية بالاضافة الى المدرسة الاكليركية الكبرى بالقبة بنيت الصغرى بسانت أوجين (بولوغين) وشرع في بناء الكنائس الفخمة منها (56)

مقاطعة الجزائر

باب عزون _____ سانت أوغسطين

باب الواد _____ نتردام دي فيكتور

فوردولو _____ سانت فرانسواز داسيس

عين طاية _____ سانت ساتورن

مقاطعة وهران

عين تيموشنت _____ سان لوي

بسكرة _____ سانت برونو
سوق هراس _____ سانت أوغسطين

وعموما فإنه بين 1850 الى 1858 دشن بافي 78 كنيسة جديدة كما منح البركة المسيحية لأول حجرة لبناء كنيسة نتردام دافريك (NOTRE) DAMME DAFRIQUE وشارك في أعمال الحفر الأولى . كما أصدر مرسومين مؤسسين لأسقفية قسنطينة ووهران وبوفاته ترك بافي معالم دينية مسيحية وحشد كبير من الكهنة والآباء والأخوات والجمعيات الدينية وذلك قصد تجسيد فعلي لغزو ديني روحي أعلن على الأهالي الجزائريين على غرار الغزو الاستعماري الإسطاني.⁽⁵⁷⁾

وسخلف بافي الاسقف لافيغري (AVIGERIE 1867—1892) وستبلغ عملية الغزو الديني فيالجزائر ذروته على عهده حتى كني ب أبو التبشير في إفريقيا من خلال تشكيله للحلقة الذهبية للعمل التبشيري التنصيري في إفريقيا عامة والجزائر خاصة⁽⁵⁸⁾

3 — نبش المقابر واستخدام عظام المسلمين الجزائريين في المصانع الفرنسية

أعقب استقرار الفرنسيين في الجزائر وصول عدد كبير من الأجانب الآملين في الاستفادة من هذه الوضعية وكان من ضمن هؤلاء المالطيون الذين عرضوا خدماتهم على رجال الصناعة في مارسيليا والتي كانت مصانعها بحاجة الى فحم العظام لتبيض السكر. فأظهر هؤلاء استعدادهم لارسال عظام الحيوانات التي تحتاجها المصانع المارسلية ولاستكمال حمولة البواخر وللتقليل من التكاليف كانوا يجمعون العظام البشرية من المقابر⁽⁵⁹⁾

ولقد ضمن حمدان خوجة هذه الاعمال الاجرامية في مذكرته الى اللجنة الافريقية سنة 1833م فقال : " وإن الظلم لم يسلط على الأحياء فحسب بل اتسع نطاقه الى قبور الاموات تفتح فيتاجر بعظامها المدفونة من غير تابوت⁽⁶⁰⁾

وتواصلت هذه العملية الى غاية اللحظة التي أعلنت فيها جريدة لوسيمافور دو مارساي LE SEMAPHORE DE MARSEILLE قراءها بهذه التجارة المشؤومة.⁽⁶¹⁾

قام الطبيب سيقو DR SEGEAUD باجراء تحقيق من تلقاء نفسه وبعث برسالة الى الجريدة المذكورة بتاريخ 1 مارس 1833 جاء فيها: "لقد علمت عن طريق الاشاعات ان عظاما

بشرية استخدمت لصنع الفحم الحيواني ومدفوعا بشعور العطف على الانسانية .. قمت بزيارة الباحرة المدفعية لابون جوزفين LA BONNE JOSEPHINE والقادمة من الجزائر حيث كانت حمولتها من العظام وبعد أن قمت بفحص دقيق جدا ... تعرفت على بعض منها فثبت لدي أنها من النوع البشري وشاهدت عددا من الجماجم والسواعد وعظام الفخذ التابعة للمراهقين الذين دفنوا مؤخرا وكانت غير خالية من اللحم " . (62)

وبتاريخ 19 مارس 1833 اظهرت الغرفة التجارية بالجزائر أسفها ليس على الجريمة ولكن على الطبيب سيقو الذي أمارط اللثام عن هذه التجارة وما لحقه بذلك من ضرر بمصانع تصفية السكر الفرنسية المزدهرة . كما كشفت التحقيقات عن أمرين مهمين فبينما وجدت أطراف إعتبرت أن إدانتنا أكثر من حقيقة وأن هذه الأعمال جرت في ظروف تجارية دون علم السلطات الفرنسية بها ، أكد آخرون بأن سفنا حربية فرنسية كانت مشتركة في نقل عظام انسانية باتجاه مرسيليا . (63)

ولم تتوقف الجرائم ضد الأموات عند هذا الحد فلقد كان المهندسون الفرنسيون لا يتورعون إذا كان الامر يستدعي القيام بأعمال بناء أو حفر في تدنيس هذه الأماكن (المقابر) واحترام ما فيها من أموات واستعمال التراب وما فيه من بقايا انسانية مدفونة في تكوين ردم الطريق . (64)

وذكر حمدان خوجة في عريضته للماريشال سولت وزير الحربية الفرنسية بتاريخ 3 جوان 1833 من خلال الشكاية الثالثة عشر ما يلي:

" إنه من يوم دخول الفرنسيين للجزائر الى يومنا هذا لم يزالوا يحفرون مقابر آبائنا واجدادنا يستخرجون الآجر والأحجار فيبنون بها .. فكان رد الوزارة : " إن مدافن المسلمين كانت على جانبي مداخل أبواب المدينة فكان يجب عبورها لشق طرق ضرورية " . (65)

ولكن هل كانت تلك الضرورة تقتضي بأن تداس تلك القبور وتستغل محتوياتها ؟ ذكر بيليسي دي رينو PELLISSIER DE RAYNAUD في حولياته LES ANNALES أنه من المستحيل تجنب هدم مقبرتين للمسلمين نظرا لأشغال إحداث طريق حتى قلعة الامبراطور مع أشغال إحداث طريق باب الواد ... لكن من الواجب أيضا التصرف بلطف وليس بفضاضة كما حدث .. لقد كان من الواجب أن يتم نقل رفات القبور بنظام

واحترام الى مكان لائق بدل أن تشتت شذر مذر (66)

من خلال ما سبق يتبين للعاقل المتدبر حقيقة التعدي الفرنسي على حرمان الأموات لكن رغم ذلك فإن عددا كبيرا من مؤرخي هذه المرحلة التاريخية تنكروا للفعل . والله در حمدان خوجة الذي صدع بالحق وكشف حقيقة الجرم الفرنسي .

فإذا كان تقرير سيقو قد كشف قضية بيع تلك العظام ، و إستعمالها في الصناعة ، فإن رد وزارة الحرية ، على عريضة حمدان خوجة السابقة جاء ليؤكد لنا ذلك ، حيث ذكرت فيما يخص مسألة فتح القبور بأنه قد أصبح من العسير عدم إنتهاكها من طرف أشرارالمسيحين واليهود، حيث كانوا يترددون لأخذ الأحجار الثمينة والعظام، ليرسلوها لصنع فحم العظام بمصانع فرنسا كما ان رسالة سان جو Saint Jean قنصل إنجلترا بالجزائر إلى جوني دي بوسي GENTIL De Bussy بتاريخ 23 جويلية 1833 ، و التي جاء فيها : أن مقابر الأموات قد انتهكت ، و بقاياهم الآن قد نقلت إلى فرنسا كبضاعة للتجارة... (67)

وتصريح لويس بلان LOUIS BLANC الذي كان معروفا بوطنيته العمياء بقوله : "إن العظام البشرية كانت ترسل من الجزائر إلى فرنسا بالقناطير ، لكي تستخدم في بعض الصناعات" (68) و كذا التنديد الذي تقدم به المحامي كابي Cappé إلى اللجنة الجزائرية سنة 1834 ، و التي ذكر فيه : المساجد و المعابد هدمت ، أو استخدمت في اعمال مدنسة ، المقابر حفرت ، عظام الموتى بيعت بالتجارة " (69) بالإضافة الى منع الامير عبد القادر استهلاك السكر المستورد من فرنسا (70) والى غير ذلك من الحقائق التي تؤكد لنا هذه الجريمة التي تعتبر سابقة في التاريخ البشري .

هكذا امتدت يد الغزاة لتصل هذه المرة الى عظام وحثت هامة لم يكن في مقدورها أن تقف في طريقهم حتى يقدموا على ابادتها مثلما أمر كلوزيل . لقد كانت تلك الاعمال تنم عن انتفاء الانسانية عن هؤلاء وتلحقهم بكائنات أخرى غير بشرية أما السلطات الفرنسية التي نفت علمها بذلك فانها تتحمل المسؤولية كاملة عن هذه الجرائم .

وماختتم به عند استعراضنا هذه الجريمة قولان أحدهما لفرنسي والآخر جزائري يقول الأول وهو بيليسي دو رينو : " هذه القبور كانت كأفواه ملتهمة إن شكاوى الأموات تتصل بعالم الاحياء الذين نحطم منازلهم في نفس الوقت سواء بسواء (71) أما القول الثاني فهو لحمدان خوجة الذي صرح بقوله: فنحن نطلب أن يحكم الشرع

العيسوي أو الموسوي أو المحمدي فيها بما يسترضي ابن الحلال عن عظام آبائه وأمهاته. (72)

من كل ماسبق يتبين لنا بجلاء طبيعة الاعمال التي قام بها الفرنسيون أثناء البدايات الأولى لتواجدهم بالجزائر وما خفي كان أعظم. حيث تشير من الوهلة الأولى إلى رغبة جامحة للتركز في هذه الأرض كما أن تلك الجرائم التي ارتكبتها الفرنسيون ضربت بمعاهدة 05 جويلية 1830 عرض الحائط و بينت أن تلك المعاهدة لم تكن إلا حيلة فرنسية لتحقيق هدفها الاستعماري في هذا السياق فلقد ذكر حمدان خوجة أنه حين احتج لدى القائد العام كلوزيل على خرق اتفاق 1830 رد عليه بقوله : إن فرنسا غير ملزمة باحترام هذا الاتفاق ، لأنه لم يكن في نظرها سوى لعبة حرب . (73)

كما أن اللجنة الإفريقية التي أنشئت في 07 جويلية 1833 ورغم اعترافاتها الصريحة ، بأن الأهالي مضطهدون و معذبون في أرضهم ، و من أن فرنسا لم تأت لهم بالحضارة ، و إنما جلبت إليهم الجهل والهمجية اجمع أعضاؤها على ضرورة مواصلة الاحتلال وعدم التخلي على الفريسة و صادقوا على الاحتفاظ بالجزائر ، بسبعة أصوات ضد صوت واحد . وفي 02 جويلية 1834 ، اعتبرت اللجنة المناطق التي سيطرت عليها القوات الفرنسية ، أملاكاً فرنسية في شمال إفريقيا . (74)

و ذكرت اللجنة السابقة أمام الحكومة الفرنسية في تقريرها : لقد حططنا ... ممتلكات المؤسسات الدينية ، و جردنا السكان الدين وعدناهم بالاحترام ... و ذبحنا أناسا كانوا يحملون عهد الأمان ... و جاء في الرسالة التي بعثها حمدان خوجة ، إلى السلطان محمود الثاني ، في 16 أوت 1833 : " إن ما تلاقونه من آلام يا حضرة السلطان ... ليس مشابهاً لنا إذ لم يعرف خلال سبعة آلاف سنة من تاريخ الإنسان مأساة جور واستبداد يرثى لها مثل التي نتحملها الآن " . (75) هكذا كان الوضع في الجزائر بعد أربع سنوات فقط من الاحتلال.

لقد حدثت هذه الانتهاكات في عهد الجنرال كلوزيل وأوردها حمدان خوجة في مؤلفة المرأة فقال بتهكم : ولكي أذكر فضائل الجنرال كلوزيل ما علي إلا أن أعدد بعض الأعمال الخالدة التي وقعت أثناء ولايته بإفريقيا ففي عهده نهب الأموات في مدافنهم وسمح بالابتجار بالعظام البشرية وبيعت حجارة المقابر ثم نقلت إلى باب الواد لتتحول إلى مادة الجير ووقع الإستلاء على آجر المقابر (76) خوجة حيث أخذ النقيب مارنجو MARONGO في سنة

1836 المرمز من أكبر قسم من مقبرة الشمال و حوله إلى مزرعته على يد السجناء العسكريين .
(77)

لم يجد الجزائريون تعليلا منطقيا لمثل هذه الاعتداءات سوى الحقد الصليبي للفرنسيين على هذا الشعب المسلم و هو ما أورده حمدان خوجة في كتابه - المرأة - حيث جاء فيه : هناك ممن يرى أن الحكومة الفرنسية لم تسمح بانتهاك المقابر إلا لحقدها على ديننا و فيما يخصنا فإنه لا يوجد أي اعتبار يمكن أن يسمح بتجريد الأموات من لباسهم الأخير و تشتيت عظامهم. (78)

4- البعد الصليبي في سياسة الإبادة الجماعية

إرتبط تاريخ الاسعمار الفرنسي في الجزائر باراقة الدماء وارتكاب جرائم ضد الانسانية فلقد انطلقت عمليات التقتيل منذ الايام الأولى لدخول الفرنسيين العاصمة والمشاهد المروعة للمجازر والمذابح الفرنسية قائمة في كتب التاريخ وقد دوها مؤرخوا تلك الفترة فكانت شاهدة عليهم ولعل اشهرها ما اقدم على فعله دورو فيقو في 5 افريل 1832 من ذبح لسكان قبيلة العوفية قرب الحراش لمجرد أنه اشتبه في افرادها أنهم سرقوا أمتعة مبعوثي فرحات بن سعيد احد العملاء المبكرين لفرنسا في منطقة الزيبان الى دوروفيقو وتبين بعد ذلك عدم مسؤوليتهم في الذي حدث ورغم ذلك قبض على شيخها الشيخ ربيعة وحوكم محاكمة صورية واعدم مع أحد افراد قبيلته حتى يتبرع روفيقو براسيهما لطبيب ديني يدعى بونافون BOUNAFON ليحري تجربة عليهما ولم يكن ذلك في حقيقة الأمر من أجل العلم وإنما من أجل إشباع غريزة المتعطش للدماء الجزائرية (79)

وذكر لويس بلان LOUIS BLANC انه في سنة 1832 دخل الجنرال يوسف YUSUF الى مدينة عناية على راس جيش كبير ونصب فوق العلم الفرنسي رأسا مقطوعة لأحد سكان العرب وبعض الاشياء التي اشتملت عليها الغنائم المسلوبة من قبائل العوفية ومنها اقراط بيعت في باب عزون وهي مضرجة بالدم واساور لا تزال مربوطة بالمعصم المبثور (80).

وفي شهر جوان من سنة 1845 قام العقيد بيليسيه PELLISSIER بمجزرة رهيبة راح ضحيتها حوالي الف شخص من قبيلة أولاد رياح بغار الفراشيش في ناحية جبال الظهرة حيث احتمت القبيلة بالمغارة فاقدت على إبادة بطريقة وحشية باستخدام الدخان الكثيف وانتهت باحصاء ما يقرب من 1000 قتيل بعد صر دام يومين. (81)

وثناء ثورة الزعاطشة قرر الجنرال هريون HERBILLON نفس المنزل الذي كان فيه الشيخ بوزيان بالمتفجرات وانتهى ذلك بالقاء القبض عليه واصدر الجنرال امرا بقتله والاحتفاظ براسه ليعرض أمام الناس كما أمر بقتل ولده الذي لم يبلغ العشرين بعد بدعوى أنه لو ترك حيا لأخذ بثأر أبيه وأمر أيضا بقطع رأس الحاج موسى الدرقاوي وتعليقه بجانب رأس بوزيان وابنه وأكد هريون أنه قرر تعليق الرؤوس الثلاثة حتى يقضي على الاشاعات التي روجها سكان الواحة من أن هؤلاء لم يموتوا وإنما فروا (82) فهل كان تكذيب هذه الاشاعات يبرر هذا الإجراء ؟ وتعدى الأمر الى نقل هذه الرؤوس وتقديمها الى متحف باريس (83)

وفي منطقة القبائل أذنت حكومة الامبراطور للجنرال راندون بغزو جبال جرجرة فجمع قوات مكونة من ثلاث فيالق بقيادة رونو ومكماهون و يوسف وكان عددها يزيد عن 10 آلاف رجل ورغم صعوبة المنطقة ومقاومة آت إيراثن غادر الجيش في 24 ماي متجها الى سوق الأربعاء علم الماكر راندون أثناء الاستعدادات بأن عيد الفطر عند المسلمين سيكون يوم 24 ماي من تلك السنة لذلك حدد هذا التاريخ للهجوم على قرية آت إيراثن عندما تكون مشغولة باحتفالات العيد ونجحت هذه الخديعة لدرجة أنه في يوم واحد سقطت ساحة الأربعاء ولنا أن تصور احتفالات عيد تلك السنة وأطفال آت إيراثن (84).

5 — تحريف القضاء الاسلامي وإثبات السيادة الفرنسية عليه

إن المكانة المميزة للقضاء الاسلامي خلقت خوف كبيرا لدى إدارة الاحتلال مما قد يسببه مستقبلا في الإفتاء بضرورة محاربة الاحتلال وإباحة الجهاد ضد كل الأجانب ، لذلك بادر الوالي العام كلوزيل إلى إصدار قرار بتاريخ 10 أفريل من عام 1834 يقضي باستئناف الأحكام التي يصدرها القاضي المسلم لكن أمام المحكمة الفرنسية ، وكان هذا القرار بداية التضييق على القضاء المسلمين بإخضاعهم إلى الأخذ بالقوانين الفرنسية على مستوى المحاكم التي تشرف عليها ، ثم نص بدوره على أن القضاء بصورة عامة في ممتلكات فرنسا بإفريقيا الشمالية لا يكون إلا باسم ملك فرنسا وعن طريق المحاكم الفرنسية فقط وبالتالي فإن إجراءات التعيين بالنسبة لسلك القضاء لن يكون إلا باسم الملك بما في ذلك أداء اليمين أو القسم ، خاصة بالنسبة للقضاة المسلمين وهذا يعني بالدرجة الأولى الضغط على القاضي المسلم ووضعه بين خيارين إما أن يتخلى عن ضميره ومبادئ القضاء الذي ينتمي إليه روحا وعقيدة ، وإما الاستقالة التي تكون لها تبعات

خطيرة عليه منها الحبس أو النفي على أساس أن ما قام به يعتبر مساسا بسيادة وسلطة فرنسا (85).

والمتبع للقضاء الإسلامي على عهد الاحتلال يقف على حقيقة مرة ، وهي محاولة ضربه في الصميم من خلال المراسيم والقرارات التي تهدف كلها إلى تهجينه ، ففي تاريخ 09 سبتمبر من عام 1830 كذلك أصدر القائد العام للحملة قرارا يقضي بتأسيس المحكمة الخاصة بالجزائر ، ثم في 22 أكتوبر من عام 1830 تم تأسيس مجلس قضائي ، وما بين 1830 و 1834 وصل عدد القرارات الخاصة بالقضاء إلى 245 قرارا ، وبموجب المرسوم الصادر في 22 جويلية من عام 1834 تم تشكيل ثلاث محاكم في كل من وهران والجزائر وعنابة ، وقد ترتب عنها إنشاء المحكمة الملكية بموجب أمر رسمي في 28 فبراير من عام 1841 يقضي بترع سلطة القاضي في أحكام الجنايات والجنح وجعلها من اختصاص محكمة الاستئناف الفرنسية ، ثم صدر قانون في 26 سبتمبر من عام 1842 حول زيادة إنشاء المحاكم في المدن التي تم احتلالها ، ثم صدر قانون آخر بتاريخ 21 جويلية من عام 1846 يقضي بدوره حل النزاعات العقارية والملكية وتسويتها بالقانون الفرنسي وليس بالقضاء الإسلامي

كما صدر مرسوم في أكتوبر من عام 1854 على عهد نابليون الثالث حول إنشاء المجلس الشرعي المتكون من قضاة ومفتين ، وقد عارضه المستوطنون بقوة والذين أجبروا نابليون الثالث على إصدار مرسوم في 31 ديسمبر 1859 يلغي كل الاختصاصات المعطاة للقاضي المسلم . (86)

و بتاريخ 13 ديسمبر من عام 1866 صدر مرسوم ، جرد القاضي المسلم من كل الصلاحيات بالمقارنة مع القاضي الفرنسي ، خاصة وأن هذا المرسوم فرض على المسلمين التقاضي لدى قضاة الصلح الفرنسيين و ليس القضاة المسلمين الذين أصبح دورهم هو تنفيذ الأحكام فقط ، ونص أحد مراسيم 24 أكتوبر 1870 - التي ألغت الحكم العسكري وجاءت بالمدني - على إنشاء المحلفين في محاكم الجنايات وكانت هذه الهيئات محرمة على الجزائريين ، لأنها مفتوحة أمام الفرنسيين فقط وجاء في ديباجة المرسوم أن الهدف من إنشاء هيئة المحلفين هو دمج المؤسسات القانونية الجزائرية في القانون الفرنسي العام الفرنسي وأن هذا الإجراء يعجل بنمو المستعمرة (87)

ومثل هذا المرسوم شكلا آخر لقهر المسلمين ، فكيف يكون أعضاء جماعة المحلفين فرنسيو الجنسية أو بعبارة أخرى من المستوطنين ، الذين مصالحهم مناقضة لمصالح المسلمين؟ لقد وضع هذا المرسوم المتهمين تحت حكم أعدائهم*** وفي ظل هذا النمط من الحكم تجلّى نفوذ المستوطنين في كل المحالات وأصبحوا يسيطرون على تسيير هذا النظام لذلك عملوا على القضاء عليه ، وكان من أبرز ما قاموا به هو الضغط على الحكومة لإلغاء مجالس الاستئناف التي عمل بها القضاء على عهد نابليون وأعطيت صلاحياتها للمحاكم الفرنسية ، وأصبح القاضي المسلم يخضع للقاضي الفرنسي أكثر من ذي قبل ، وهذا ما حدث في عام 1872 مباشرة بعد نهاية ثورة المقراني عام 1871 عندما وجهت المحاكم الفرنسية العديد من التهم للجزائريين منها 71 حكما بالإعدام طبقا للقضاء الفرنسي الذي نظر إلى هؤلاء أنهم أخلوا بالأمن الفرنسي وزعزعوا استقراره في الجزائر (88).

وفي إطار تقزيم القضاء الإسلامي والاستخفاف بالقاضي المسلم صدر قانون آخر بتاريخ 26 جويلية من عام 1873 يقضي بترع حق القاضي المسلم النظر في القضايا التي لها علاقة بالملكية والاستحقاق ، ثم تلاه أمر رسمي صدر في 28 أوت من عام 1874 يلغي المحاكم الإسلامية في منطقة القبائل واستخلافها بالجماعات القضائية (الأعراف) دون العودة للقضاء الإسلامي . كما صدر مرسوم آخر بتاريخ 07 جوان من عام 1889 ومعدل بمرسوم 25 ماي من عام 1892 ، حول إعادة تنظيم القضاء الإسلامي ، بحيث تم حصر صلاحيات القاضي المسلم مرة أخرى في النظر في القضايا ذات الطابع الاجتماعي بالدرجة الأولى مثل الزواج والطلاق .

لقد بقي القضاء الإسلامي يئن تحت وطأة المستوطنين الذين وقفوا في وجهه بكل الوسائل مما انعكس سلبا عليه وعلى أفراد المجتمع الجزائري ، بعد أن استحدثت إدارة الاحتلال بدائل لهذا القضاء كان من أخطرها القضاء الفرنسي الذي عمم على كل المدن الجزائرية ، وكذلك فرض الأعراف والعادات والتقاليد وبعثها من جديد في منطقة القبائل على أساس أنها بديل للقضاء الإسلامي وهي أقرب إلى القضاء الفرنسي . (89)

6 — المجاهدة الجزائرية لمظالم السياسة الدينية الفرنسية في الجزائر

يمكن استعراض جنباتها من خلال المقاومة السياسية في اوساط حضر الجزائر أو النخبة التي اعتقدت أن الفرنسيين يمثلون امة شريفة لا يمكن أن تنكث عهودها لكن ذلك لم يحصل

فتأسس اول حزب سياسي وطني عرف باسم لجنة المغاربة بزعامة حمدان بن عثمان خوجة الذي بعث بعرائض الى السلطات الفرنسية في الجزائر وباريس مذكرا اياها ببنود معاهدة الاستسلام . ومن بين هذه العرائض واحدة تتكون من ثمانية عشرة قسم ومست هذه الوثيقة تختلف الممارسات العنصرية الفرنسية والتعدي على المقدسات الاسلامية في الجزائر . ورد في القسم الاول من هذه العريضة تنديد بسياسة مصادرة الأوقاف واضطهاد السلك الديني ومما جاء فيها : " إن اول عمل بادرت بارتكابه السلطة الفرنسية - ظلما وعدوانا - هو ايقافها للقاضي والمفتي ونفيهما من أجل الاستيلاء على اوقاف مكة والمدينة وعلى المؤسسات الخيرية التي قد سعى في تأسيسها آباؤنا وجعلوها وقفا في سبيل الله ليكون مدخولا خاصا للفقراء والمساكين واليتامى والارامل حسبما تقتضيه نظام شريعتنا .. وقد استولى جميعها الحاكم الفرنسي بدون أي قانون كما استولى - أيضا - على جميع الدراهم التي كانت بأيدي الوكلاء والقائمين عليها والمكلفين بتسييرها

سيدي الوزير : إننا نطالب بإعادة هذه المؤسسات مع دخلها وثن كرائها المقبوض مدة استيلائها كما نطالب كذلك بكراء الحدائق التي استولى عليها الجنود وذلك طبقا لماؤكدنا شروط المعاهدة " (90)

كامل وجبت الإشارة الى انه كانت للداي حسين مراسلات بالشفرة مع عدد من علماء وشيوخ واعيان الجزائر يعدمهم فيها بالرجوع و يحثهم على الصبر ومواصلة العمل على تحرير البلاد . وقد وقعت هذه المراسلات في ايدي المخابرات الفرنسية فغرقلوا المخطط . وكان حمدان خوجة يتراسل بالشفرة مع عدد من زعماء البلاد وسافر على مرتين للاتصال بالحاج أحمد الى غير ذلك من المحاولات التي تجعل الفرنسيين يتوجسون خيفة من عملية مضادة يكون المال الذي في أيدي أملاك الأوقاف الاسلامية وسيلة كبيرة لها . استنادا الى أطروحتهم القائلة إن وضع الأوقاف في الجزائر يشبه وضع أملاك رجال الدين في فرنسا قبل الثورة لذلك كانت الادارة الفرنسية في الجزائر حريصة على أن لا يكون لرجال الدين دخل خاص بل يجب أن يكون كل شيء تحت يد الادارة نفسها وهي التي تتولى بنفسها الصيانة والتسيير مباشرة ونسي هؤلاء ان الأوقاف ليست ملكا خاصا لرجال الدين بل هم أمناء عليها فقط . (91)

ونتيجة للضغط المتواصل من لجنة المغاربة عينت السلطة الفرنسية اللجنة الشهيرة للجنة الافريقية للتحقيق في الوضع في الجزائر وقد ضمن حمدان خوجة أن هذه الحركة ستحقق انتصارا للعدل والانسانية بالاضافة الى استقلال الجزائر فبعث بنسخة من مؤلفه المرأة ومذكرة طويلة الى أعضاء اللجنة الافريقية ولكن هذه الاخيرة خيبت آمال الجزائريين فلم توافق على أية نقطة من المطالب (92).

ولم يقتصر رد الفعل السياسي على لجنة المغاربة بل كانت هناك محاولات فردية لكتابة الشكاوى وتقديمها للسلطات الفرنسية حيث قام المفتي ابن العنابي الذي هاله اقتراحات الفرنسيين المناقضة لمبادئ الثورة الفرنسية فكتب سلسلة من الرسائل الى الجنرال كلوزيل يذكره فيها بنصوص معاهدة الاستسلام فاتهم بأنه كان يعمل من أجل عودة الحكم الاسلامي الى الجزائر فقبض عليه وسجن ثم نفي (93).

ومن مظاهر المجاهدة الجزائرية لسياسة طمس معالم المؤسسات الاسلامية نذكر أنه عند محاصرة مسجد كتشاوة لتحويله الى كاتدرائية كان هناك حوالي اربعة آلاف مصل اعتصموا واضعين الحواجز والمتاريس أمام ابوابه غير ان الجيش الفرنسي الغازي تلقى امرا بكسر الابواب وإطلاق النار على المصلين فتدفق الجزائريون نحو الخارج بين شهداء وجرحى ومغمى عليهم (94).

غير انه فات المؤرخ الفرنسي جوليان أن يضع أمام أعيننا عدد القتلى الذين سقطوا في هذا اليوم دفاعا عن المسجد ولم يكن عددهم بالقليل ولهذا سميت الساحة التي غمرتها دماؤهم الطاهرة بساحة الشهداء الى اليوم (95).

ومن العلماء الذين انتفضوا لنصرة الدين والوطن مصطفى بن الكبابطي (مفتي المالكية بين 1831 — 1843) حتى عاقبه بيجو بالنفي هو وولده وأخيه من الجزائر حيث هز بموقفه الادارة الاستعمارية عند تصليه في رفض ضم الأوقاف الاسلامية الى أملاك الدولة الاستعمارية الفرنسية. بمقتضى مرسوم 8 ديسمبر 1830 على عهد كلوزيل و 23 مارس 1843 على عهد بيجو. إضافة الى موقفه الرافض لفرض اللغة الفرنسية على الاطفال المسلمين في مدارسهم بدل لغة القرآن وهو الذي رفع مبكرا شعار الثقافة الوطنية وهو استقلال الدين الاسلامي عن فرنسا وتعريب التعليم في الجزائر قبل أن ترفعه الحركة الوطنية الجديدة. (96)

لقد أدى هدم المساجد بالعاصمة وغيرها والاستيلاء على الأوقاف إلى إفقار رجال السلك الديني وهجرة العديد منهم فكانت على أنواع ساهمت فيها أسباب أخرى ويهمنا هنا رفض العلماء تقبل الحكم الفرنسي وسيطرة دارة أجنبية مسيحية على المسلمين وبدأت المهجرة داخليا فقط أي الهروب من العاصمة والمدن الساحلية الأخرى (وهران، عنابة، بجاية مستغانم...) إلى مناطق داخلية حتى لا يخضع المسام لحكم تافرنسيين المسيحيين وحين توسع الاحتلال أخذت المهجرة تتجه نحو الخارج سيما المغرب وتونس زمنهما نحو المشرق. وقد تطورت حركة المهجرة عبر سنوات الاحتلال واختلفت أسبابها فمن ذلك فئيل الثورات في زواوة والاوراس والجنوب خلال الخمسينات والستينات والسبعينات فقد هاجر بسبب ذلك عدد من العلماء سيما نحو تونس والشام فكانت آخر موجات المهجرة هي التي دفع اليها التجنيد الاجباري ابتداء من فاتح هذا القرن (97)

من جانب آخر فإننا لا نحاي الحقيقة إذا أدلينا بالقول بأن الشعب الجزائري خاض التنفاضات تعبيرا على الرفض الاتدمار ولآت الارتباط كان وثيقا بين السياسة الاتدمارية والكنيسة فأن مقاومة الاستدمار هي في نفس الوقت مقامة لسياسة الكنيسة وجهاد في سبيل العقيدة الاسلامية والوطن ، ومن هذا المنطلق كان الأمير عبد القادر يسعى إلى جعل الأمة الجزائرية أمة واحدة تعمل بتعاليم الاسلام وتحقق فضائل أهل القرون الأولى للهجرة بعد إيقاضها من الغفلة، أما أحمد باي فقد قاوم الاستدمار الفرنسي واستنجد بالسلطان محمود الثاني ولكنه خيبه فالزمه المسؤولية أمام الله واقام عليه الحجة قائلا له: " في يوم الحساب سأطلبكم أمام الله ، لماذا تغليتم عن خادكمم والذود عن دين رسول الله محمد صلى الله عليه و سلم ."(98)

وقي منطقة القبائل دعا محمد بن الأحمـد السكان إلى الجهاد ولأن الدفاع عن الدين كان أهم عوامل إلتفاف الجزائريين حول العلماء وشيوخ الزوايا إستعمل الأحمـد (بوبغلة) الخطاب الديني لإثارة حميتهم دفاعا عن الدين والوطن ولقد وزع أنصارة منشورا جاء فيه : " الحمد لله وحده ،يايها الذين آمنوا بالله ورسوله ... ، جئت لأخلص البلاد من ريقة النصارى ... استعدوا للجهاد ... كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله " وفي أعلى المنشور طبعت العبارات الدينية التالية : (نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين ، إعتمد على الحي القيوم الذي لاتأخذه سنة ولا نوم) (99).

إن الأمر الذي لا يخلجه الريب هو حقيقة كون الشعب الجزائري لم يكن قادرا على مواجهة قوة الاستعمار الفرنسي والتي سلطها على المؤسسات الدينية لطمسها والحد من دورها الكبير ولقد عبر عن رفضه للانتهاكات الفرنسية لحرمة المساجد والزوايا وغيرها بأشكال مختلفة فما المقاومة الشعبية التي عمت مختلف مناطق الوطن الا تعبيرا عن رفض الجزائريين للاستعمار بكل اشكاله . (100)

- (1) Michel Habart , histoire d'un parjure paris 1960 , p. 173
- (2) Garnier (j-p) , charles x ,le roi proscrit ,ed fayard ,p.170
- (3) Pons (mgr) , la nouvelle eglise d'Afrique ou le ctholicisme en Algerie ,en tunisie
au Maroc depuis 1830 ,ed lois namura ,Tunis sd p.106
- (4) عبد الجليل التميمي ، " التفكير الديني والتبشيري لدى عدد من المسؤولين الفرنسيين في الجزائر في القرن 19 م " ، المجلة التاريخية المغربية عدد 3 ، جانفي 1975م ص 14
- (5) نفسه
- (6) Tournier (le chanoine) , la conquete religieuse de l' Algerie (1830 -1850) ,p.49
- (7) التميمي ، ص 15
- (8) أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية ، القسم الأول ، م و ، ك الجزائر ، 1992 ت ص 72
- (9) Tournier ; op .cit. ; p.50
- (10) Poujoulat , etudes africaines ,tome 1 ,paris ,1847, p.50
- (11) Jean Melia , charles x , le plus grand roi de france pour la conqueted'alger,sdp. 96
- (12) Egron , l'Algerie chretienne p. 9
للمزيد من التوسع في المسألة نرجو العودة إلى مقالنا :
سعيد مزيان: "منطلقات المشروع الكنسي الفرنسي في الجزائر "الجزء الأول ،حولية المؤرخ ، العدد السادس ،سنة 2005 ،ص151 — 175
- (13) Marcel Emerit, « la lutte entre les generaux et les pretres au debut de l' algerie francaise »
R.A 1953 pp .60-69
- (14) عبد الجليل التميمي ، "دور المبشرين في نشر المسيحية بتونس (1830 - 1881) " ، المجلة التاريخية المغربية ، عدد 3 ، جانفي 1975 ، ص 6
- (15) Fisset (jean) , « les chretiens de l'Afrique du nord ,de saint augustin au cardinal Duval » , Notre Histoire n 70 sept 1990 p. 24
- (16) Lavigerie (charles martial), l'armée et la mission française en afrique ,Alger 1870, p. 43
- (17) أنور الجندي ، سموم الاستشراق والمستشرقين في العلوم الاسلامية ، دار الشهاب باتنة 1987

- (18) تجد هذه الافتراءات عند كل من : p. : fisset ; opcit ; p. 11. Tournier ; op cit p. 147
24 melia ; op cit p. 147
- (19) أبو القاسم سعد الله ، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر ، م و ك الجزائر 1986 ص 60
- (20) الحبيب الجناحاني ، " حركة التبشير والسياسة الاستعمارية في المغرب العربي في القرن التاسع عشر " ، الأصالة ، عدد 16 سنة 1973 ص 28
- (21) Egron ; op cit ; p. 6
- (22) سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 5 ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت 1998 ص 153
- (23) خديجة بقطاش ، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر (1830 - 1871) ، منشورات دحلب 1992 ص 22-35
- (24) نفسه ، ص 15
- (25) سعد الله ، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث ، بداية الاحتلال ش و ن ت ، الجزائر 1983 ص 160
- (26) سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية ، ج 2 ص 62
- (27) Fournel (m,h) , la Tunisie et l' Islam dand l'Afrique (27)
Semptriionale,paris1886p173
- (28) التميمي ، بحوث ووثائق في التاريخ المغربي (1816 - 1871) ، الدار التونسية للنشر تونس 1972 ص 151
- (29) سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ج 5 ص 164
- (30) للمزيد من التوسع راجع رابع تركي عمامرة ، دراسات في التربية الإسلامية م و ك الجزائر 1987 (31) سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي ج 5 ص 168
- (32) نفسه ص 168-169
- (33) نفسه ص 169
- (34) نفسه
- (35) أنظر في هذا الصدد : Devoulx , les edifices religieux dans l'ancien
alger p 36
- (36) سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية ج 1 ص 74
- (37) نفسه ص 75
- (38) حمدان خوجة ، المرأة ، تقدم وتعريب و تحقيق محمد العربي الزبيري ش و ن ت ، الجزائر ص 272-273
- (39) للمزيد من الاطلاع انظر : Klein , feuillet d' el djazair, pp . 15-20
- (40) سعد الله الحركة الوطنية الجزائرية ، ج 1 ، ص 79-80

- (41) سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ج 5 ص 13
- (42) بوشوش الطاهر : " صفحات من تاريخ جامع كشاوة " الأصاله ، عدد 14-15 سنة 1973 ص 295
- (43) أنظر كذلك :
- (44) شاوش حباسي ، من مظاهر الروح الصليبية للاستعمار الفرنسي في الجزائر 1830-1962 دار هومة الجزائر 1998 ص 17-18
- (45) مجاهد مسعود تاريخ الجزائر ج 1 ، دون تاريخ نشر ولا سنة النشر ، ص 117
- (46) سورة مريم الآيتين : 20-21
- (47) بوشوش الطاهر ص 297
- (48) نفسه
- (49) REPETICI (ch)l'Algerie chretienne esquisse historique 1830-1930 librairie de France paris 1955 p 18
- (50) يحي بوعزيز ، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1999 ص 129-130
- (51) سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي ج 5 ص 100
- (52) سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي ج 3 ص 36
- (54) يحي بوعزيز المرجع السابق ص 127 / سعد الله الحركة الوطنية الجزائرية ج 1 ص 77/ حمدان خوجة المرأة ص 225
- عبد الحميد زوزو ، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1900 ، م و ك الجزائر ص 233-234
- (55) نفسه
- (56) Godart (leon) , la nouvelle eglise d'afrique , paris, 1858 p
- (57) Laynaud (mgr) ,Deux glorieux centenaires , archevechie d' alger 1932 p 61
- (58) أنظر تفاصيل نشاطه في رسالتنا لنيل شهادة الماجستير :
- سعيد مزيان ، النشاط التبشيري للكاردينال لافيحري في الجزائر 1867-1892 أطروحة ماجستير إشراف أ. د ناصر الدين سعيدوني قسم التاريخ جامعة الجزائر 1999
- (59) مارسيل إيميرت : " إستغلال عظام المسلمين في تصفية السكر " ترجمة عبد الجليل التميمي ، المجلة التاريخية المغربية ، عدد 1 جانفي 1974 ، ص 9
- (60) مذكرات أحمد باي ، بوضربة حمدان خوجة ، تحقيق العربي الزبيري ، ش و ن ت ، الجزائر ، ط 2 ، 1981 ص 151
- (61) إيميرت ، المقال السابق ، ص 9
- (62) نفسه
- (63) نفسه

- (64) Olivier le cour Grandmaison, coloniser exterminer, أنظر ما أورده
casbah edition Alger , 2005 p170
- (65) التميمي بحوث ووثائق .. ص 155
- (66) مصطفى الأشرف ، الجزائر الامة والمجتمع ، ترجمة حنفي بن عيسى ، م و ك الجزائر
1983 ص 256-257
- (67) Granmaison op cit p 169
- (68) ibid
- (69) ibid
- (70) التميمي ، بحوث ووثائق ، ص 155
- (71) مذكرات أحمد باي بوضربة وحمدان خوجة ، ص 152
- (72) صالح عباد ، الجزائر بين فرنسا والمستوطنين 1830-1930 ، دم ج ، الجزائر ص
13
- (73) التميمي ، بحوث ووثائق ص 169
- (74) صالح عباد ، ص 13
- (75) التميمي ، بحوث ووثائق ، ص 169
- (76) حمدان خوجة ، المرأة ، ص 292
- (77) إيميريت ، ص 11
- (78) خوجة ، نفسه
- (79) جمال قنان ، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر ، منشورات المتحف
الوطني للمجاهد الجزائر ص 116
- (80) مصطفى الأشرف ، المرجع السابق ، ص 356
- (81) سعد الله الحركة الوطنية ، ج 1 ص 238-239
- (82) رابح لونيسي، القضايا الوطنية في جريدة المبعثر 1847-1870 رسالة ماجستير، إشراف أ.د
أبو القاسم سعد الله جامعة الجزائر 1993-1994، ص 196
- (83) وللمرء أن يتصور كيف جعل الفرنسيون من رؤوس المقاومين الجزائريين زينة
لمتحافهم .
- (84) محمد الصغير فرج ، تاريخ تيزي وزو منذ نشأتها حتى 1954 ، ترجمة موسى زمولي
منشورات زرياب الجزائر 2000 ص 13
- (85) بوعزة بوضرساية ، المسألة البربرية في لسياسة الاستعمارية الفرنسية 1830-1930
أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر إشراف أ.د
بوعلام بلقاسمي 2004-2005 ، ص 137
- (86) نفسه ، ص 139
- (87) صالح فركوس ، أصالة وتغريب مشروع فرنسا الصليبية والمجاهة الاسلامية، دار الكوثر
للنشر ، الجزائر ، 1991 ص 66

- (88) بوعزة، ص 139
- (89) نفسه ، ص 140
- (90) حمدان خوجة ، المرأة ، تعريب محمد بن عبد الكريم منشورات دار الحكمة ، بيروت ، 1972 ص 182-183
- (91) سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5 ، ص 159-160
- (92) سعد الله الحركة الوطنية ج 2 ص 27
- (93) سعد الله ، رائد التجديد الاسلامي محمد ابن العنابي ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، 1990
- (94) بقطاش ، ص 25
- (95) حباسي، ص 19
- (96) سعد الله،أبحاث وآراء ، ج 2 ، ص 33
- (97) سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 4 ص 366 — 368 أنظر تفاصيل هجرة بعض العلماء الجزائريين في الصفحة 367
- (98) صالح فركوس ، المرجع السابق ، ص 89 — 90
- (99) سعد الله،أبحاث وآراء ، ج 2 ، ص 33
- (100) المهدي البوعبدلي : " الاحتلال الفرنسي للجزائر ومقاومة السعبد في الميدان الروحي " الأصاله عدد 8 ، سنة 1978 ، ص 311 .